

الخطبة الخامسة والأربعون خطبة عيد الفطر (2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد ... قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 2 / 185].

لتكبروا الله على ما هداكم الله أكبر الله أكبر الله أكبر ...

أولاً - كل ما خطر على بالك فالله أكبر، كل ما تحتاجه فالله أكبر، كل ما تخافه فالله أكبر، كل ما هو قوي الله أكبر، فالذي يقول الله أكبر مع إيمان بها وفهم لها تكون ثقته واعتماده وتوكله على الله أكبر من كل شيء فلا يخاف أحداً لأن الله أكبر، ولا يرجو أحداً لأن الله أكبر، ولا يغش ولا يسرق ولا يأخذ ما ليس له، لأن الله أكبر والله هو الرازق والله هو المعاقب والله هو المالك فالله أكبر من حاجته والله يسد حاجته والله أكبر، لأن الله لا يعجزه شيء والقادر على كل شيء والمالك لكل شيء، فالذي يخالف شرع الله وأوامر الله تعالى لسان حاله ما قال الله أكبر ولا مرة ولو كان لسانه يكررها ألف مرة ...

كثيرون يقولون الله أكبر وهم في الصف الأول في المسجد ويقولون الله أكبر ولكن أين حالهم من مقالهم هؤلاء يشوهون الإسلام والمسلمين ...

ثانياً - قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 59 / 10]، أيام العيد أيام محبة وتسامح، أيام

للأسرة والأهل، أيام تقارب وتناسٍ للخلافات والضغائن، صمت رمضان وقمته وسبّحت ودعوت لأن يعفو الله عنك، فدعاء هذا الشهر قوله ﷺ: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني يا كريم».

هل تمثلت أنت هذا؟ هل عفوت عن ظلمك؟ هل عفوت عن أساء إليك؟ هل عفوت عن تكلم عنك بسوء؟ اعف أنت أولاً لعل الله يعفو عنك، سامح أنت لعل الله سبحانه وتعالى يسامحك، صلِّ رحمك صلِّ من قطعك، تجاوز عن المخطئ، صفي قلبك ...

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 8 / 1]، قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم وفساد ذات البين، إنها الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن أقول حالقة الدين» الترمذي، إخوانك، أصحابك، من كان بينك وبينه خلاف على شيء ما، جد حلاً لهذه المشكلة، لهذا الخلاف دعنا نصفي أمورنا وحساباتنا لعل الله سبحانه يغفر لنا ويرحمنا، فالله أكبر من كل شيء والقادر على كل شيء والمالك لكل شيء والغني عن كل شيء والرازق لكل شيء ...

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه. وعن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: (تقبل الله منا ومنك) حسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتجالسين فيّ» الترمذي، موطأ الإمام مالك، وعن أبي هريرة ﷺ قال: «إن الله يقول يوم القيامة، أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي» مسلم.

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قوله ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» متفق عليه. وعن سهل بن سعد ﷺ قال: أتى النبي

ﷺ رجل فقال: «يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس»، فقال عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبوك» صحيح ابن ماجه.

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة:

1. ذو سلطان مقسط متصدق موفق.
 2. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم.
 3. وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة:
1. الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً.
 2. والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه.
 3. ورجل لا يصبح ولا يمسي، إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك.
 4. وذكر البخل والكذب، والشنطير الفحاش، وإن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» رواه مسلم (2865).
- العفيف:** المجتنب عما لا يحل له، متعفف: أي عن السؤال متوكل على الله تعالى في أمره وأمر عياله مع فقره وحاجته، الضعيف الذي لا زبر له: أي لا رأي له ولا عقل ولا حكمة يمنعه عن ارتكاب ما لا يحل وما لا ينبغي، ولا يرتدع عن فاحشة ولا يتورع عن حرام وطبعاً لا يريدون أهلاً لأن شهوتهم في الحرام وكسبهم من حرام، «الشنطير الفحاش» هو سيئ الخلق.

قال عليه الصلاة والسلام:

1. «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.
2. ولا تحسسوا.
3. ولا تجسسوا.
4. ولا تنافسوا.
5. ولا تحاسدوا.
6. ولا تباغضوا.
7. ولا تدابروا.
8. وكونوا عباد الله إخواناً» البخاري دون (ولاتنافسوا).

التحسس: التفطيش عن عيوب الناس، وتقصي الأخبار، والتجسس: المتابعة والملاحقة والتنصب لعيوب الناس، والمقصود من الحديث - والله أعلم - أي لا تقوموا بأي عمل يفرق الأمة ويضع في قلب بعضكم البعض والضعينة والكرامية، لا تفعلوا أي شيء يخالف كونكم عباد الله إخواناً، فقلة الثقة والتخوين والفضائح والغيبة والنميمة ونقل الأخبار والشائعات والتقاطع والتدابير كلها أمور سيئة نهى عنها الشارع لأنها تؤدي إلى تفريق الصف والإخوة.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال رضي الله عنه: «1. تصل من قطعك، 2. وتعطي من حرمك، 3. وتعفو عمن ظلمك» الطبراني، وفي مسند الإمام أحمد والطبراني قال عقبة رضي الله عنه: «لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت بيده أو بداني فأخذ بيدي، فقال يا عقبة، هل أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» حم - طب - شعب الإيمان للبيهقي، البغوي شرح السنة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النيون والشهداء» رواه الترمذي.

ثالثاً - إياك والقنوت من رحمة الله، إياك واليأس من عفو الله، لا تقل أبداً إن الله لم يقبل صيامي أو قيامي ... أحسن الظن بالله وقل أرجو الله أن أكون من المقبولين ... أرجو الله أن أكون ممن عُفِرَ له، أرجو الله أن أكون من الصالحين، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّيَ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: 56 / 15].

من ييأس من رحمة الله يكفر، لأنه سلب صفة من صفات الله تعالى وهي العفو والمغفرة والرحمة منه سبحانه وتعالى، ولأن الله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 39 / 53].

فأخبر سبحانه عن نفسه وعن صفاته فقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: 39 / 53]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا

يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: 12 / 87]، فلا تياس من رحمة الله ولا تقنط من رحمة الله ومغفرته لأنه سوء أدب مع الله ونزع صفة من صفاته الجليلة، ولأنه تكذيب للقرآن في قوله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: 7 / 156]، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم، رحمة الله واسعة وكرم الله كبير وهو الغفور الرحيم، مهما بلغت ذنوبك فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» الترمذي - حديث حسن.

فإذا فعل الإنسان ما يجب عليه وعمل الصالحات وعلق رجاءه بالله وخاف من المعاصي فاستغفر وتاب وأتاب إلى الله، ويحسن الظن بأن الله يقبله ويغفر له، فهذا يُرجى له النجاح بإذن الله

رابعاً - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه» متفق عليه. وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله قال ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم.

خامساً - تعلق القلب بالله وحده والاعتماد على الله وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: 7 / 54]، له الخلق سبحانه، يخلق ما يشاء، يعطي من يشاء كيف يشاء ما شاء، له الأمر سبحانه، يأمر بما يريد، ويفعل ما يريد لا راد لحكمه ولا راد لقضائه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: 31 - 32].

كل شيء بيده، رزقك، سمعك، بصرك، حياتك بما فيها، صحتك بما فيها،

جسمك بما فيه، أمورك كلها صغيرها وكبيرها ما علمت منها وما لم تعلم ... كل شيء بيده وأنت تعلم ذلك، لذلك يسألك ربك سبحانه (أَفَلَا تَتَّقُونَ)؟ أفلا تتقون الله فيما رزقناكم وفيما أعطاكم وفيما جعلكم مَخُولِينَ فيه، أفلا تتقون الله والله قادر على سلب كل ذلك منكم وعلى حرمانكم من كل النعم ... اتقوا الله في أزواجكم، اتقوا الله في أولادكم، اتقوا الله في إخوانكم، اتقوا الله في أرحامكم ...

لا راد لمشيئته - سبحانه وتعالى - قال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهما في الغار: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ظنك باثنين الله ثالثهما» رواه البخاري ... الله معنا والله يحمينا والله يعطينا والله ينصرنا، بيده كل شيء وهو على كل شيء وكيل ... قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: 26 / 61 - 62]، التوكل الكامل، والثقة الكاملة وحسن الظن الكامل بالله سبحانه وتعالى ... قال تعالى ﴿وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا إِنَّ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: 71 / 10].

1. إذا خفت فعليك بحسبنا الله ونعم الوكيل فالله يعذك بقوله: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 3 / 174].

2. وإذا اغتممت وضافت عليك الأمور فعليك بلا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين، فالله يعذك بقوله: ﴿وَيَجِئْتُهُم مِّنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنشِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 21 / 88].

3. وإذا خفت من مكر الناس عليك بالتسليم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد، فالله يعذك ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 40 / 45].

4. وإذا أردت عدم زوال النعمة من بين يديك والحفاظ عليها، فعليك ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فوعده الله تعالى ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: 39 - 40].

5. وإذا اردت أن يكفى همك، فعليك بالصلاة على النبي ﷺ، فعن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت: يا رسول الله ﷺ إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي، فقال ﷺ: ما شئت، قلت: الربع، قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت النصف، قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت فالثلثين، قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت أجعل لك صلاتي كلها، قال عليه الصلاة والسلام «إذن تكفى همك ويغفر ذنبك» رواه الترمذي - حسن صحيح، أي إن الإنسان يدعو لنفسه من خيري الدنيا والآخرة، فإن أبدل ذلك بالصلاة على النبي ﷺ كفاه الله هم الدنيا والآخرة وغفر ذنبه ... وذلك لأن الصلاة على النبي ﷺ تصديق بالإله الذي بعثه، وتصديق بالرسالة، وتصديق بالشرعية، وتصديق بالقرآن، ومحبة لله ولرسوله وإيماناً بما جاء به عليه الصلاة والسلام، واتباعاً والتزاماً ومحبة له عليه الصلاة والسلام، من فعل كل هذا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وغفر له ...

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات» صحيح - حب - حم - ن - ك.

سادساً - عليك بسيد الاستغفار، فعن شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْفِقًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مَوْفِقٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» حم - البخاري - ن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... اللهم اغفر لنا وارحمنا وتقبل منا وتب علينا يا أرحم الراحمين، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

وتذكرة أذكر فيها نفسي وإخواني وهي أن رمضان انتهى، ولكن يجب أن نحافظ على قراءة القرآن، وصلاة النوافل، وقيام الليل، وحفظ اللسان، وصلوة الرحم ... رمضان مدرسة ودورة تدريبية يجب أن نحافظ عليها طوال السنة، والله سبحانه وتعالى له نفحات يضاعف فيها الحسنات، يقبل فيها التوبة ويعفو ويغفر كل ليلة في الثلث الأخير وكل جمعة، وكلما أتيت به بذل وانكسار وتضرع، وهو الذي قال سبحانه: «ومن جاءني يمشي جئتته هرولة، من يستغفرني فأغفر له، ومن يسألني فأعطيه»، فالحمد لله على نعمة الإسلام والحمد لله على نعمة الإيمان والحمد لله أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

